بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عظيم المنة, ناصر الدين بأهل السنة, والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأمة وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه من هذه الأمة, أما بعد:-

كتب أحد الإخوة مقالًا ينتقد فيه الشيخ صالح بن عبدالله العصيمي حفظه الله تعالى في مسألة من مسائل الصفات! وهي مسألة صفة السكوت لله عز وجل, وخلاصة كلامه الذي كتبه:
أن صفة السكوت لله نوعان:
الأول: السكوت عن بيان الحكم.
الثاني: السكوت الذي يقابل التكلم.
وأن هذا ما أجمع عليه أهل السنة! وأن الذي ينكر النوع الثاني فقد أخطأ, إذن الشيخ العصيمي وكل من قال بقوله مخطئون.

وقبل مناقشته فيما كتب, سأنقل مقاله كاملًا حتى تتضح المسألة بكل وضوح للقارئ ثم أعلق بما فتح الله عز وجل.
*****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فقد انتشر مقطع لفضيلة الشيخ صالح العصيمي حفظه الله تعالى وهو من اهل العلم والفضل الذين نفع الله بهم.

قال حفظه الله تعالى: " صفة السكوت ثابتة لله ومن لوازمها كما في الحديث عدم إظهار الحكم، قال ابن تيمية والسكوت ثابت لله بالنص والإجماع، صفة السكوت ثابتة لله لكن قلنا معناها عدم إظهار الحكم وإبانته وليس المراد الانقطاع عن الكلام، والموجب لهذا تتبع النصوص التي فيها ذكر السكوت من الأحاديث المرفوعة وفيها ضعف ومن الآثار الموقوفة وصح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه عند أبي داود في سننه ".

رابط المقطع

https://youtu.be/EJ-U٢GUiOso

يقرر في هذا المقطع أن صفة السكوت ثابتة لله عز وجل بالسنة والإجماع وهذا حق، وقرر أن معنى السكوت عدم إظهار الحكم وإبانته وهذا حق أيضا، ولكنه أنكر أن يكون معنى السكوت: السكوت الذي يقابل الكلام وهذا فيه نظر؛

أولًا: اعلم رحمك الله أن صفة السكوت صفة ثابتة لله عز وجل، دلّ على ثبوتها السنة والإجماع، وهي صفة فعلية وهذا سكوت يليق بجلاله سبحانه كما قال تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}.

أما السنة: فما رواه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «ما أحل الله في كتابه، فهو الحلال، وما حرم، فهو الحرام، وما سكت عنه، فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته». وفي حديث أبي ثعلبة عن النبي ﷺ: «إن الله فرض فرائض، فلا تضيعوها، وحدّ حدودًا، فلا تعتدوها، وحرم محارم، فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان، فلا تسألوا عنها».

وجاء عند أبي داود موقوفا على ابن عباس بسند صحيح قال: "كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله نبيه وأنزل كتابه فأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو. وتلا: {قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم}.

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية –كما في مجموع الفتاوى عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري الهروي – قوله بعد ذكر الفتنة الواقعة زمن الإمام ابن خزيمة: "فطار لتلك الفتنة، ذاك الإمام أبو بكر، فلم يزل يصيح بتشويهها، ويصنف في ردها، كأنه منذر جيش، حتى دوّن في الدفاتر، وتمكن في السرائر، ولقن في الكتاتيب، ونقش في المحاريب: ( أن الله متكلم، إن شاء تكلم، وإن شاء سكت )، فجزى الله ذاك الإمام، وأولئك النفر الغر عن نصرة دينه، وتوقير نبيه خيرًا". انتهى.

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ويقول الفقهاء في دلالة المنطوق والمسكوت، وهو ما نطق به الشارع، وهو الله ورسوله، وما سكت عنه تارة، تكون دلالة السكوت أولى بالحكم من المنطوق، وهو مفهوم الموافقة، وتارة تخالفه، وهو مفهوم المخالفة، وتارة تشبهه، وهو القياس المحض.

فثبت بالسنة، والإجماع أن الله يوصف بالسكوت، لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه"

ثانيا: صفة السكوت التي تُثبت لله لها معنيان

المعنى الأول: أن يسكت عن بيان حكم شيء، فسكوته سبحانه عن بيان حكم شيء يدل على أنه عفو ومباح، وذلك أن الأصل في كل شيء الإباحة، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٩]، قوله: ﴿ خَلَقَ لَكُمْ ﴾ يدل على أنها لنا، فيدل على أن كل شيءٍ الأصل فيه الإباحة، وقد حكى الإجماع على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

وثبت عند الترمذي موقوفًا عن سلمان الفارسي أنه قال: "الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرم الله، وما سكت عنه فهو عفوٌ" وجاء مرفوعًا لكن لا يصح، وإنما الصواب وقفه -والله أعلم-.

المعنى الثاني للسكوت: السكوت الذي يُقابل الكلام، فإن مثل هذا يُثبت لله إجماعًا، وقد نصَّ على الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى)، ويدل على ذلك معتقد أهل السنة في كلام الله، فإن أهل السنة يعتقدون أن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، ومعنى أنه قديم النوع: أي أنه قادر على الكلام متى ما شاء بقدمه سبحانه، ومعنى قولهم حادث الآحاد: أي أن أفراد الكلام يحدث بعد أن لم يكن.

فالكلام قديم بقدمه سبحانه وتعالى الا ان أفراد الكلام تتجدد بحسب الحوادث ومقتضى هذا التجدد إثبات السكوت لله عز وجل اي السكوت الذي يقابل الكلام

فإذن هو سبحانه يتكلم ويسكت، فيُثبت الأمران لربنا سبحانه وتعالى، ومن خالف في ذلك فهو مخطئ قطعًا لما تقدم بيانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى: "وَنَحْنُ لَا نَقُولُ كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامٍ قَدِيمٍ وَلَا بِكَلَامٍ مَخْلُوقٍ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ إذَا شَاءَ، وَيَسْكُتُ إذَا شَاءَ،..."

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: " نقول ان الله فعال لما يريد إن شاء تكلم وإن شاء سكت ".

https://youtu.be/m٩٢٣SXNxhZE

فالخلاصة أن صفة السكوت لله نوعان:

الأول/السكوت عن بيان الحكم.

الثاني/السكوت الذي يقابل التكلم.

وقد أجمع عليه أهل السنة كما حكاه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦ / ١٧٩). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " فثبت بالسنة، والإجماع أن الله يوصف بالسكوت، لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه ".

فمن أنكر النوع الثاني فقد أخطأ.

وهذا تفصيل جميل لفضيلة الشيخ عبد العزيز الريس حفظه الله تعالى

https://youtu.be/h٠HT٨Xo٠Ve٤

نهاية المقال.

**والجواب** على هذا:

أن محل النزاع في المسألة هل يوصف الله عز وجل بصفة السكوت على المعنى الذي يقابل الكلام؟ يعني عدم الكلام!؟ فيتكلم تارة, وتارة لا يتكلم؟!

إذ أنه **لا خلاف بيننا في إثبات صفة السكوت** الذي ذكره بالمعنى الأول, ولا خلاف كذلك في دليل إثبات هذه الصفة فالأدلة متفق عليها.

وعليه فمحل النقد هنا هو عند كلامه عن المعنى الثاني للسكوت فقال:" المعنى الثاني للسكوت: السكوت الذي يُقابل الكلام، فإن مثل هذا يُثبت لله إجماعًا، وقد نصَّ على الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى)، ويدل على ذلك معتقد أهل السنة في كلام الله، فإن أهل السنة يعتقدون أن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، ومعنى أنه قديم النوع: أي أنه قادر على الكلام متى ما شاء بقدمه سبحانه، ومعنى قولهم حادث الآحاد: أي أن أفراد الكلام يحدث بعد أن لم يكن.

فالكلام قديم بقدمه سبحانه وتعالى الا ان أفراد الكلام تتجدد بحسب الحوادث ومقتضى هذا التجدد إثبات السكوت لله عز وجل اي السكوت الذي يقابل الكلام

فإذن هو سبحانه يتكلم ويسكت، فيُثبت الأمران لربنا سبحانه وتعالى، ومن خالف في ذلك فهو مخطئ قطعًا لما تقدم بيانه" اهـ

**قلت:** حينما تكلم عن المعنى الأول وهو المتفق عليه بيننا ذكر الأدلة على ذلك, لكن حينما تكلم عن المعنى الثاني وهو أن الله يسكت يعني لا يتكلم! جاء بكلام مجرد من الدليل, فليس عنده نص قاطع في المسألة مع أنه يتكلم في أمر غيبي لا يثبت إلا بنص توقيفي, وزعم أن هذا المعنى يثبت لله إجماعًا ثم ذكر كلام شيخ الإسلام ونصه على الإجماع في ذلك.

ومن المعلوم أن مسائل الصفات لا تثبت إلا بالقرآن والسنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم, وقد دلت النصوص السابقة كما في حديث أبي هريرة وسلمان الفارسي وابن عباس رضي الله عنهم على المعنى الأول أن سكوت الله عز وجل المراد به في تلك الأحاديث هو سكوت عن بيان الحكم فمن استدل بهذه الأحاديث **وزعم أنها بمعنى السكوت الذي يقابل الكلام فقد أبعد النجعة.**

ولا توجد نصوص في الشريعة -لا من القرآن ولا السنة بل ولا من الإجماع-, أن الله عز وجل يوصف بالسكوت أي بمعنى عدم الكلام, ودليل ذلك عدم استدلال الكاتب بنص من القرآن والسنة الصحيحة على المعنى الثاني حينما ذكره, ولم يكتف بذلك بل زاد الطين بله, والصنبور نغمة: أن قال بخطأ من قال بخلاف فهمه الخاطئ للنصوص ولكلام العلماء!

وأنقل لك أيها القارئ تأصيل الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله تعالى في هذا المبحث العقدي لعله يتضح لك مراد أهل السنة والجماعة في إثبات صفة السكوت لله عز وجل على الوجه العقدي الصحيح.

قال حفظه الله تعالى في شرح الأربعين النووية:" قال: ( وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها)

سكت عن أشياء": يعني: أن الله سكت، وهذا السكوت الذي وصف الله -جل وعلا -به **ليس هو السكوت المقابل** " **للكلام، يقال: تكلم وسكت، وإنما هذا سكوت يقابل به إظهار الحكم**، فالله -جل وعلا -سكت عن التحريم، بمعنى لم يحرم، لم يظهر لنا أن هذا حرام، فالسكوت هنا من قبيل الحكم، سكوت عن الحكم، ليس سكوتا عن الكلام، فغلط على هذا من قال: إن هذه الكلمة يستدل بها على إثبات صفة السكوت لله -جل وعلا -، وهذا مما لم يأت في نصوص السلف في الصفات، وهذا الحديث وأمثاله لا يدل على أن السكوت صفة؛ لأن السكوت قسمان:

سكوت عن الكلام، وهذا لا يوصف الله -جل وعلا -به، بل يوصف الله -سبحانه وتعالى- بأنه متكلم، ويتكلم كيف شاء، وإذا شاء، متى شاء، وأما صفة السكوت عن الكلام، فهذه لم تأت في الكتاب ولا في السنة، فنقف على ما وقفنا عليه، .يعني: على ما أوقفنا الشارع عليه، فلا نتعدى ذلك

والقسم الثاني: من السكوت، السكوت عن إظهار الحكم، أو عن إظهار الخبر وأشباه ذلك، فلو فرض -مثلا- أن أنا أمامكم الآن، وأتكلم باسترسال، سكت عن أشياء، وأنا مسترسل في الكلام، بمعنى أني لم أظهر لكم أشياء أعلمها، تتعلق بالأحاديث التي نشرحها، وسكوتي في أثناء الشرح عن أشياء لم أظهرها لكم، أوصف فيه بالسكوت؟

فتقول -مثلا-: فلان سكت في شرحه عن أشياء كثيرة، لم يبدها لأجل أن المقام لا يتسع لها، مع أني متواصل الكلام، فإذاً لا يدل السكوت، يعني: في هذا، يعني: السكوت عن إظهار الحكم عن السكوت الذي هو صفة، والله -جل وعلا -له المثل . - الأعلى، فنصفه بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم

لا نتجاوز القرآن والحديث، فنصفه بالكلام، ولا نصفه بالسكوت الذي هو يقابل به الكلام، وإنما يجوز أن تقول: إن الله - جل وعلا -سكت عن أشياء، بمعنى لم يظهر لنا حكمها." اهـ

قلت: فهذا التأصيل الذي ذكره العلامة صالح آل الشيخ هو التأصيل الصحيح في المسألة وهو الموافق لما ذكره الشيخ صالح العصيمي وغيره من أهل العلم.

وقول الكاتب:" فالكلام قديم بقدمه سبحانه وتعالى الا ان أفراد الكلام تتجدد بحسب الحوادث ومقتضى هذا التجدد إثبات السكوت لله عز وجل اي السكوت الذي يقابل الكلام فإذن هو سبحانه يتكلم ويسكت، فيُثبت الأمران لربنا سبحانه وتعالى، ومن خالف في ذلك فهو مخطئ قطعًا لما تقدم بيانه"اهـ

أقول: قوله : "ومقتضى هذا التجدد إثبات السكوت لله عز وجل أي السكوت الذي يقابل الكلام", محض فهم (فردي) سيء لأصل المسألة, فمن المجازفة أن ينسب هذا الفهم لإجماع الأمة, بل حتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الذي يستشهد الكاتب بكلامه لم يقل أن السكوت هنا بالمعنى الذي يقابل الكلام = أي لا يتكلم!

وكلام الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى الآتي يوضح هذه النقطة, بحيث تفهم مراد شيخ الإسلام على الوجه الصحيح.

ثم نقل الكاتب عن الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى أنه يقول :" نقول أن الله فعال لما يريد إن شاء تكلم وإن شاء سكت" اهـ

وقف على لفظة (وسكت) فظن أن الشيخ يؤيده فيما ذهب إليه بمعنى السكوت, وفي الحقيقة أن الشيخ لا يقول بهذا المعنى الذي فهمه الكاتب, إذ قال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى في شرحه على عقيدة أهل السنة والجماعة (ص١٤٦) :" مسألة: قلنا: إن الله سبحانه وتعالى يتكلم متى شاء, فهل الوقت الذي لم يشأ الله سبحانه فيه الكلام ينسب إليه فنقول: إنه ساكت؟

الجواب: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تبحثوا عنها" , لأن الإمساك عن الكلام سكوت, لكن **لا نجزم بأن هناك سكوتًا مطلقًا**؛ لأن الحوادث دائمة مستمرة في كل لحظة, وكل أمر يحدث فإنما يقول له : (كن) فيكون, قال تعالى [إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ], وكل شيء يقع فهو مراد الله, **فالسكوت المطلق لا أظنه يكون بالنسبة لله عز وجل**, لكن لو شاء لفعله؛ لأن هذا من صفات الأفعال, لكن يمكن السكوت عن شيء معين" اهـ

فهذا باختصار ما يتعلق في المسألة, فعلى الكاتب وفقه الله أن يتقي الله عز وجل وألا يعجل بانتقاد أهل العلم, وألا يجازف بتخطئة العلماء, خصوصًا من يتفق معهم في أصول المعتقد, فإن أهل البدع يتربصون بسقطات أهل السنة ليستغلوها بالطعن في العقيدة السلفية, ومن وجد ما يشكل عليه من كلام أهل العلم فالواجب عليه الرجوع إليهم وسؤالهم والتباحث معهم حتى يوضحوا له ما أشكل عليه

فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما, وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكتبه: أحمد بن عايد العَنَزي
فجر الأحد ٢٦ شوال ١٤٤٢